

ماذا وراء شراء أوزبكستان طائرات مقاتلة من فرنسا؟

بطبيعة الحال، ينبغي لأي بلد أن يضمن الأمان والحماية والرفاهية لمواطنيه. وفي هذا الصدد، بدأت الحكومة الأوزبكية في شراء أسلحة باهظة الثمن من بعض الدول المتقدمة من أجل تعزيز الإمكانيات العسكرية للبلاد. وبحسب المعلومات التي نشرها موقع Qalampir.uz في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، فمن المتوقع أن تشتري أوزبكستان ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز **Dassault Rafale** من فرنسا، حسبما نقل موقع **TS2 Space**. وأفيد في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر، خلال زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى سمرقند، بأنه ظهر اهتمام ثنائي بعملية الشراء عالية القيمة. كما استعرضت الجهود التي تبذلها أوزبكستان لتحديث معداتها العسكرية.

قبل أن نشيد بهذا القرار الذي اتخذته الحكومة أو ندينه، دعونا نتحدث عن طائرة **Dassault Rafale** المقاتلة؛ حيث يبلغ سعر النسخة الرابعة المحسنة من هذه الطائرة المقاتلة العسكرية عام ٢٠٢٣، ١٢٤,٩٥ مليون دولار أمريكي. لكن بحسب الخبراء، لن تتمكن أوزبكستان من شراء هذه الطائرات في المستقبل القريب، لأن الشركة المصنعة، **Dassault Aviation** للطيران، تلقت العديد من الطلبات من قطر وكرواتيا وإندونيسيا، كما أنها تتفاوض مع السلطات السعودية. ولذلك عرضت فرنسا مقاتلات **Dassault Mirage-2000** على أوزبكستان كبديل، وهي طائرة مقاتلة تم إنتاجها في سبعينات القرن الماضي، وبالتالي هي قطعة خردة بالنسبة لفرنسا، ويقال إن السعر الحالي لهذه "الخردة" حوالي ٣٠ إلى ٧٠ مليون دولار أمريكي!

ولعل الخبراء في هذا المجال لا يجرؤون على القول بأن مثل هذه الاتفاقيات الحكومية - بالنسبة لأوزبكستان التي تشهد توترات اقتصادية مختلفة - ليست مشاريع ناجحة واعدة. ويحاول رئيس الدولة أن يسمي هذه الخطوة، التي يقوم بها دون تفكير ملي، بأنها "جهد من أجل سلام شعبنا"، لكن لا بد لشعبنا أن يعرف الحقيقة كاملة عنها. ومن المعروف أن القوات المسلحة الأوزبكية لا تزال تمتلك طائرات مقاتلة من طراز سوخوي SU-24 و SU-25 و SU-27، وبطبيعة الحال، تعتبر هذه الطائرات بالفعل معدات قديمة، وقد طورت روسيا الآن بدائل محسنة للطائرات المقاتلة التابعة لبلدان أخرى ذات صناعة عسكرية متطورة. ومع ذلك، يقول الخبراء: "تتخذ أوزبكستان خطوات ملموسة لتحديث قوتها الجوية، التي تحتفظ في قواعدها حالياً بمجموعة متنوعة من الطائرات المقاتلة، بما في ذلك الطائرات الهجومية والطائرات المقاتلة SU-24 و SU-25 و SU-27. إن الإضافة المحتملة لطائرات رافال إلى الدفاع لن تكون قفزة تكنولوجية فحسب، بل ستكون أيضاً تحولاً جيوسياسياً كبيراً في المشهد العسكري في آسيا الوسطى"، لكن في الواقع، هذه الأفكار ليست أكثر من مجرد خطابة لا جدوى فيها، وبعبارة أخرى، وبصراحة أكثر، لا شيء أكثر من تضليل الناس.

دعونا نلق نظرة فاحصة على عواقب هذه الاتفاقيات المالية المحفوفة بالمخاطر. لنفترض أن الحكومة الأوزبكية لم تشتري ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز داسو رافال من فرنسا، ولكن اشترت بدلا منها النفايات القديمة داسو ميراج ٢٠٠٠ التي عرضها ماكرون، فهل يستطيع قيادة هذه الطائرات طيارون عسكريون محليون؟ بالطبع لا! وهذه مجرد

بداية المشكلة. بادئ ذي بدء، سيتم بناء حظائر للطائرات، وسيتم جلب المتخصصين من فرنسا لتدريس عمليات الإدارة والحفاظ على تلك "العرائس" غريبة الأطوار. وسيتم نقل عدة مئات من شباننا إلى فرنسا لتدريبهم كطيارين لهذه الطائرات. إجارة المطارات وأجرة تدريب المتخصصين - باختصار سعر "الحمار" الذي كان بعشر عملات معدنية. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الطائرات، التي يطلق عليها وصف "العروسة"، هي نماذج قديمة - مثل "سيدة عجوز" مزينة - وغالباً ما تحتاج إلى إصلاحات، ويتم جلب قطع الغيار بالطبع من فرنسا. وفي نهاية المطاف فإن كل هذا سوف يكون أكثر تكلفة بالنسبة لأوزبكستان، التي تغرق في مستنقع الديون إلى مستوى قياسي. ولإعطاء مثال أقرب، في عام ٢٠١١، اشترت أوزبكستان ١٠ طائرات إيرباص من طراز A320 مقابل ٨٥ مليون دولار. وعلى الرغم من كونها طائرات نقل مريحة، إلا أن أسعار التذاكر لا تزال مرتفعة بسبب الاستعانة بمصادر خارجية لمتخصصي الصيانة وقطع الغيار الضرورية. بالإضافة إلى ذلك، ليس من الصعب تخيل التكاليف الهائلة التي تذهب إلى الطائرات المخصصة للحرب فقط. وإذا علمنا أن ديون أوزبكستان زادت بنسبة ٨٠٪ تقريباً منذ عام ٢٠١٧ ووصلت إلى ٣١,٥ مليار دولار، فمن الأسهل بكثير تخيل المخاطر الكامنة وراء مثل هذه الاتفاقيات باهظة الثمن.

وهنا نتساءل، ماذا وراء شراء الحكومة لمثل هذه الطائرات العسكرية الباهظة الثمن، والمسيرات التي يقال إنها مستوردة من تركيا، وسعر كل واحدة منها ٥ ملايين دولار؟ بمعنى آخر، ما هي الأسباب والعوامل التي تدفع الحكومة إلى مثل هذه الاتفاقيات؟ وهذا بالتأكيد موضوع يتطلب تفكيراً جدياً. فهل هناك خطر ما على سمائنا الصافية؟ هل يحاول أحد ما أن يبدأ حرباً على شعبنا المسلم المضيف والكريم؟ وإذا قلنا إن الصين تريد الغزو فهذا خطأ، لأنها بالفعل موجودة في بلادنا حتى بدون حرب! أما بالنسبة لروسيا، فلا تزال نخبها السياسية تعتبر بلادنا أرضاً لهم منذ ١٠٠ عام، بل إن النخبة الحكومية لم تتخلص بعد من وجهات النظر القديمة بشأن القضايا الأمنية الموروثة من عهد كرموف، ولا تنوي التخلص منها أبداً؛ وهي وضع المسلمين في مركز الأهداف ومحاربة الإسلام دائماً تحت ستار الإرهاب والتطرف، لأن هذا الرأي يُصَبّ في آذانهم من جانب أسيادهم المستعمرين مثل أمريكا وروسيا، وتنفيذه مطلوب بصرامة. ولذلك، يقاتل هؤلاء القادة الدمى بإخلاص ضد دينهم وشعبهم من أجل بقايا العظام التي يلقونها أسيادهم. وها هو العالم كله يشهد أن حكام العرب والمسلمين، الدمى، يجمون الصهانية اليهود المجرمين في الأحداث التي تجري في فلسطين بشكل أكثر وأوثق من "قتبهم الحديدية".

وعليه، فإن هؤلاء الكفار المستعمرين يؤلبون المسلمين ضد بعضهم بعضاً دائماً ويخلقون حروباً مصطنعة بينهم لبيع أسلحتهم العسكرية البالية ويهدفون إلى الحصول على فوائد اقتصادية كبيرة. والأمر الأكثر حزناً هو أنه قبل ١٠٠ عام فقط، تحولت الأمة الإسلامية، التي كانت جسداً واحداً؛ إخوة لبعضهم، تحولت إلى أعداء وتم إذلالها تحت أسماء مختلفة؛ سنة وشيعة وإرهابيين ومتطرفين ومعتدلين،... وإضافة إلى ذلك عندما يصبح الصراع حرباً حقيقية بين الإيمان والكفر، فقد أصبح من الواضح الآن للجميع أنه بينما لا يزال هؤلاء الحكام الدمى يقفون ضد الأمة، فإن مثل هذه الأسلحة التي تم شراؤها بأموال المسلمين لن تعمل لصالحهم أبداً.

قبل عشرين عاماً بالضبط، عندما غزت القوات الأمريكية وحلفاؤها العراق، تم تدمير العديد من الأسلحة الهجومية والدفاعية التي كانت في أيدي الجيش العراقي، بالكامل. وحتى الآن، في غزة، أرض فلسطين المباركة، لم تطلق القوات المصرية ولا التركية ولا الباكستانية أي مدفعية أو طائرات مقاتلة ضد كيان يهود الغاشم، وقد أصبحت هذه الحقيقة المؤسفة لا تحتاج إلى دليل. وبطبيعة الحال، فإن المصير المأساوي لهذه الطائرات المقاتلة، التي تشرع حكومة أوزبكستان في شرائها بالمليارات من أموال شعبها، لا يمكن أن يكون مختلفاً. ومن الضروري جداً أن يعرف شعبنا هذه الحقائق، ولا شك أن حتى ذوي الوعي القليل قد أدركوا ذلك...

والحقيقة أن الأمة قد بدأت بالتحرك؛ فاليوم، تتجه أنظار الدول الكافرة كافة نحو منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى على خلفية الأحداث في الأرض المباركة فلسطين. وإن هتافات الأمة عقب طوفان الأقصى التي ثارت ضد يهود الذين يقتلون أحبائنا في غزة، قد وضعت حدا لنوم وسلام الكفار. وكذلك تمت إزالة الأقنعة عن وجوه الحكام الدمى بالكامل، وقد عرفت حقيقة من يحكمونها. وبسبب هذا القلق، نرى أن هؤلاء الحكام الدمى، قد بدأوا يبحثون عن الإجراءات الأخيرة، ويسافرون في أنحاء العالم ويعقدون الاجتماعات ومؤتمرات القمة. لقد ألهمت غزة المسلمين حول العالم وأظهرت عظمة الرجال، وأن الدنيا تافهة، وأثارت الرغبة في الاستشهاد، وبدأت الأمة تغير مفاهيمها الخاطئة والرخيصة. لقد أدركت تماماً أنه لا يوجد خيار آخر سوى تعبئة جيوش المسلمين في حدث عالمي حاسم مثل مجزرة اليوم في غزة، وأنه من أجل الاستخدام الصحيح والفعال لقدرات الجيش، لا بد من أمير للمؤمنين، مثل عمر، والمعتصم... ونشأ في الأمة رأي عام ونضج لديها أن طلب النصر ليس حكماً شرعياً يجب أداءه فقط بل هي ضرورة حياتية واقعية. والآن، تنتظر الخطاب الأول لخليفتنا، الذي سيقودنا من حالتنا السيئة إلى عزنا السابق، وهذا وعد الله الحق. يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

إسلام أبو خليل – أوزبكستان